

الذين كانوا ناصبوه في حياته فُجِّر كما شاء في المقبرة الارمئية . لكن جماعة اعدائِهِ عادوا بعد حين وانقلبوا على المرسلين وطلبوا ان تُنقل رفات السيد بيكه من مقبرتهم فنقلت الى معبده . واذ فتحوا وقتلوا تابوته وأوامينه سالمة كأن الله اراد ان يبين للجميع رضاه من تلك اليمين المباركة آله البر والحسنات . وكفى دليلاً عن عظم شأن الاسقف بيكه ما كتبه عنه الفارس دَرْفِيُو خلفه في قنصلية حلب ورفيق سفره من مرسيه قال : « كان بيكه رجلاً عجيباً في خدمة ربه وخدمة مليكه ، فكانهُ يترجم لقول الشاعر العربي

ما أجل الدين والدنيا اذا اجتما

ونسأل الله في الحتام ان يقيض للدرلة الفرنسية امثالا من هؤلاء الابطال الذين بأعمالهم وهرق جبينهم قامت بنائهُ نفوذها في ديارنا الشرقية بارك الله بكر الكنية الكاثوليكية وجمها ركناً لكل عمل خير فأنهُ السبع المجيب

## بيروت

### تاريخها وآثارها

للأب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البعث التاسع

ديانة اهل بيروت (تتمة)

ومع هذه الادلة على انتشار الدين المسيحي في بيروت نجد للوثيقة آثاراً باقية الى

القرن السادس للمسيح . وقد سبق لحضرة الاب رينه موترد في المشرق (٢٢) [١٩٢٤]:  
 ١٩٥-٢٠٠) وصف هيكل رثني كان مقاماً جنوبي السراية الجديدة على منطف  
 التل الراتي من باب يعقوب الى كنيسة الارمن الغريغوريين . وكان الهيكل المذكور  
 على اسم « الزهرة السيدة » اي معبودة الفينيقيين عشتروت . وبقربه وجدت كتابات  
 راقية الى اواخر القرن الثاني او اوائل الثالث . وقد نُشرت صورة ذلك الهيكل  
 مكبرةً عن بعض نقود بيروت (ص ١٩٥)

وفي ترجمة ساويرس الانطاكي لـ « زخريا الخطيب » افادات عن بقايا بيروت الوثنية  
 في عهده اي في اواسط القرن الخامس وذكر هناك شيئاً من عاداتهم ومآثمهم واشتغالهم  
 بالسحر ونقود الناس عنهم حُبهم وسوء تصرفهم (١)

وكذلك الكتابات المدفنية والتذكارية والآثار الفنية المكتشفة في بيروت وفي  
 جوارها ولاسيما في جهات بيت مري وعند دير القلعة معظمها لبدة اوثان تتراوح بين  
 القرن الثاني الى السادس للميلاد . ولعل المدينة لم تنبذ تماماً العبادة الوثنية قبل الزلازل  
 التي كادت تطمس آثارها الى آخر الدهر

بنيان الوثنية في بيروت لم ترتبها على ما يظهر بعاملات - سيرة  
 من معدرة السرى والى اقدم ما نجد في غيرها من المدن الساحلية التي كثر  
 فيها الشهداء . وجاءت اخبارهم في صفحات التاريخ لارسابيوس القيصري وغيره  
 كجليل وصور وقيسرية

أما ما يُخبر عن استشهاد القديس جرجس فيها فهي رواية لا يمكن القطع بها  
 ويدعي الكسبة وقوعها في عدة اماكن كنيقوميديّة وُلد (قرب يافا) وغيرهما . فضلاً  
 عما في قصة الثنين من القرابة

## البيت العاشر

### مدرسة الفقه الروماني في بيروت

ومما ألفت الى بيروت أنظار العالم الروماني مدرستها الفقهية التي احرزت لها مجداً

(١) اطلب هذا الكتاب وترجمته بالفرنسية F. Nau : Vie de Sévère, pp. 49-68

أثيلاً يفوق على مجد رومية والقسطنطينية عينها. قيل ان اغسطس قيصر بعد انتصاره على مرقس انطونان خصه في اكسيروم اجتاز في بلاد الشام واعجبته موقع بيروت فأنتهم عليها بفتح هذه المدرسة الفقهية. ورايس لنا على ذلك برهان قاطع. والمرجح ان هذه المدرسة أنشئت في اواخر القرن الثاني للمسيح لما صارت الدولة الرومانية في عهد سلالة تُعرف بالسورية وكان اول ملوكها سبتيموس ساويرس (١٩٣-٢١١م)

وما لا شبهة فيه ان مدرسة بيروت الفقهية كانت عامرة في اوائل القرن الثالث كما روى الامر احد مشاهير المتخرجين فيها القديس غريغوريوس العجائبي في اواسط القرن الثالث. وكذلك شهد على وجودها احد الجغرافيين اليونان في تاريخ سنة ٢٣٩ للمسيح فقال: «ان بيروت جامعة لتعاليم كل الشرائع الرومانية (١)»

وقد انشأ الرومان مدارس غيرها في رومية والاسكندرية وفي قيصرية فلسطين وفي اثينة ثم (في القرن الرابع) في حاضرة القسطنطينية وانما بيروت امتازت بمدة قصيرة بل برزت وفاق على تلك المدارس حتى مدرستي رومية والقسطنطينية ولعل بعض فقهاء السوريين الذين امتازوا في المئة الثانية والمئة الثالثة للمسيح م

الذين استوقفوا انظار معاصريهم على بيروت وما ازدانت به من المفاخر. منهم بابنيان (Papinien) الفقيه الشهير النيبقي الاصل وأرليان (Ulpian) الصوري وبيليوس پراس (J. Paulus) الحمصي. فيوتولا. قد بلغوا ذروة المجد بهظم فضلهم وسعة مداركهم تشهد لهم بقايا عديدة من آثارهم صبرت على آفات الدهر. وكان ديوقلسيانوس الملك اعني دارسي الفقه في بيروت من الضرائب العمومية نقشياً لهم فراجت فيها سوق الآداب اي رواج

ومتن اطنبورا في وصف مدرسة بيروت الفقهية وأثنوا عليها جميلاً كاتب لاتيني وضع في اواسط القرن الرابع تأليفاً وصف فيه خواص البلدان عنوانه صورة العالم كلبه (Expositio totius mundi) فلما اراد تعريف بيروت قال: «انها المدينة الوافية الكمال موقماً وحضارة». ومن جهة الاداب العلية ذكر ان فيها مدارس لدرس الحقوق حسب الدستور الروماني واليهما يتوارد الطلبة اقواجا من كل صقع ومنها

(١) اطلب GEOGR. MINORES. II, ٥٢7, : « Berytus... auditoria legum habens, per quam omnia Romanorum judicia stare videntur.»

يخرج المحامون القانونيون لحاكم العالم كله . وقد دعاها الملك يوستيان في دستوره القانوني : «أم العلوم وظلُّ الشرائع» . وقال يوحنا اناطوليوس : «أنا كرمي الآداب والنعم» . ولقبها القديس غريغوريوس الجاني « بالدرسة الرومانية المحضة ومركز شرائع رومية الثابت» . وقال الشاعر نوثس : «أنا موطن الحقوق ومدينة الفقهاء . ومرضعة الحياة باللين والترفة»

وقد ابقى لنا التاريخ اسما بعض معلمها وهم كيرلس وديويستان ودؤميتوس واودكسيوس ولاونطيوس . ثم اشتهر منهم اناطوليوس ودوروثاوس . وألف كيرلس كتاباً مدرسياً يُعرف بالتحديدات الفقهية وهو من التأليف المُنمَّعة ولما جلس الملك يوستيان على منصَّة الملك في القسطنطينية اراد تهذيب الشرائع الرومانية وتنظيمها وحضر ابراهيم فانتدب نجبة فقهاء ذلك العصر ليقوموا بهذا العمل الجليل واستدعى من جملتهم ثلثة اساتذة من مدرسة بيروت فساعدوه في عمله مساعدة هامة وهم اودكسيوس واناطوليس ودوروثاوس فأنجزوا في سنين قليلة تلك المهمة المعتبرة كطرفة ذلك العهد وأبرزوا الدستور اليوستيناني في كل اقسامه وفروعه فأخرجوه في كتب معاومة عولوا عليها في درس الفقه منذ ذلك الحين . واحد اقسام ذلك الدستور المعروف بالنظم (Digesta) قام به اودكسيوس البيروتي وحده . فعُدَّ عمل يوستيان احدي نعم دولته واضحى كاساس الدروس الفقهية في كل الدول التي جاءت بعده وركزن الشرائع المستحدثة . وفضل بيروت ظاهر في هذا المشروع العظيم

ثم رأى يوستيان ان يصلح المكاتب الفقهية فألغى منها مدارس قيصرية واثينة والاسكندرية ولم يبق منها الاثلاثا وهي رومية والقسطنطينية وبيروت . وكان الملك يختار لها معلمها ومُجبري عليهم الجرايات . وكان لبيروت نخبة اساتذة على عدد السنين الخمس اللازمة لإحراز الدروس الفقهية . لكل سنة استاذ . فيخرج التلامذة بعد ان ينالوا الشهادة من اساتذتهم مستمدين لكل الامور الشرعية متقنين لحقائقها ودقائنها اتم الاتقان

وان سأل السائل كيف كانت معيشة الطلبة المتعاطرين الى بيروت من انحاء الدولة أجبنا انهم كانوا أحراراً يتفقون في الغالب مع الاهلين فيسكنون في بيوتهم

وبيتون عندهم ليلاً ثم يترددون الى المدارس في ساعات التعليم . ولا يخفى ان تراحم الشبان المطلقي الحرية في حركاتهم وسكناتهم كثيراً ما يقردهم الى ردغات المآثم حتى ولو كانوا من اهل الصلاح فظنك بهم ان كانوا مآثرين الى الاهواء الباطلة يمعرون في اغواء رفقتهم الى حماسة النقاد ولا سيما في عهد الوثنية ؟ فان الكتب المعاصرين كارسابوس القيصري وغريغوريوس العجائبي يدعون بيروت « معيدة النفوس البارة » لكثرة ما فيها من دواعي الفجور فان هراءها الطيب وحدائقها وحمائمها ومقاصفها وملاعبها كانت مدعاة الى اللهو وارتكاب المحرمات . وقد شبهها غريغوريوس العجائبي بساحة تغتف عقول الاحداث وتهوي بهم الى قعر النقاد

وبما كان يزيد مدينة بيروت عثرة لذوي الصلاح ما اقيم فيها من هياكل الاصنام التي تعظم الشهوات البشرية وتؤله المنكرات . فكان الوثنيون يجاهدون ببصادة عشتروت الهة الزنى وباخوس اله الخمر والتصف وكان يخدم هياكلهما سدنة يتاجرون بالمهارة حتى ان الشاعر اليوناني نوتس نعمت بيروت في اوائل القرن الرابع ببلاط عشتروت وبنام اللذات البيسية وهيكل المرح والبطر

ثم افانس في وصف حدائق بيروت وغاباتها الصنوبرية وما يشرف عليها من الرؤى الزاهية والمنارف المزدانة بالآثار والابنية الخيمة منها هيكل جوبيتر العلبكي في بيت مري الذي كان يتوارد اليه الزوار من انحاء فينيقية . وكانت كل هذه الاماكن مجلبة للتشم ورفاهية العيش والحلاوة تجذب اليها قلوب الشبية جندب المناطيس للحديد .

ولما تقلبت النصرانية على المدينة بعد قسطنطين الكبير وثاودوسيوس لم تزل الآثار العديدة في سبيل الشبان ولم ينج منها الا القليلون كأمنيان الشهيد الذي كان قدوة أتراه ومثالهم الحبي . ولنا على مديحة الدارسين في بيروت شاهد عيان في القرن الخامس وهو زكريا الاساذ الذي كتب بالسريانية سيرة ساويرس الانطاكي ووصف سلوكه في بيروت اذ كان يدرس فيها الحقوق (سنة ٤٨٧-٤٨٨) وقابل بين رزانتة وترق رفقتة الشبان كما روي ذلك في مجلة المشرق في سنتها السادسة عشرة (ص ٩٣٠-٩٣١) . وهناك لمحة عن تنظيم المدارس ودرجاتها وترتيب صفوفها ومعلميها وخص منهم بالذكر لاونطيوس بن افدوكيوس وغير ذلك من التفاصيل

التي تمثل لنا بكل دقة حياة المستفيدين في اواخر القرن الخامس للمسيح  
 وبما افادنا كعبة ذلك الهدى ان مدارس بيروت ما كانت مقتصرة على علم الفقه  
 بل كان الاحداث يمكفون ايضاً فيها على العلوم الادبية بفروءها كاللغة والادب  
 والفلسفة. ألا ان شهرتها في النقه كان يضرب بها المثل في العالم الروماني باجمع .  
 وبقيت مدارس بيروت زاوية عامرة الى اواسط القرن السادس حيث نُكبت  
 بالزلازل وكوارث الدهر كما سترى

(لها بقية)

## الاداب العربية

### في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ابراهيم بك الموليحي﴾ في هذه الحقبة الارلى من القرن العشرين وقعت ايضاً  
 وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكراً في عالم الادب نعتي به ابراهيم  
 الموليحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) والترقى سنة ١٣٢٢هـ (٢١ ك٢)  
 ١٩٠٦ م) تقلب في عدة اعمال وغلب عليه الادب والسياسة فخدم وطنه مصر في  
 أيام الخديو اسماعيل باشا ورافقه بعد استقالته الى اوربة فكان امين اسراره وسكن  
 مدة باريس وناپولي معه ثم تردد مراراً الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانية والترتب  
 عند عبد الحميد. وانشأ عدة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس وتزهة  
 الافكار ومصباح الشرق في القاهرة وله عدة مقالات في الصحف العربية غيرها .  
 وكان لم يستقر على خطة مع كونه شديد الذكاء بليغ الانشاء. كثير التفنن مر الانتقاد  
 وهو منبش جمة المعارف لثمر الكتب المفيدة. ومن آثاره كتابه الشهير « ما هنالك »  
 وصف فيه اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد وله شعر قليل وانشاؤه اقرب